د. مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: النقد السيميائي
التخصص: نقد ومناهج . ليسانس
المستوى: السداسي الخامس

المحاضرة رقم 01:

عنوان المحاضرة: السيميائية المصطلح والمفهوم

تعد الدراسة السيميائية ثمرة من ثمار القرن العشرين، وقد ظهرت كشكل واضح المعالم مع اللغوي السويسري "فرديناند دي سويسر"، ومعاصره العالم الأمريكي "شارلز ساندرس بيرس"، كما لا يمكن أن ننكر في هذا المجال جهود العرب ودراستهم المعمقة التي استفاد منها رواد السيميائية المعاصرون لدرجة أن البعض قد رأى أن المعاصرين قد نظروا في معطيات التراث العربي ونقلوا عنه كثيرا، ابتداء من الاسم الذي أطلق على هذا العلم، مبررين ذلك بالتشابه الواضح بين اللفظتين: السيميائية و sémiologie، مرورا بالكثير من مقولاتهم وآرائهم في العلامة والدلالة والتأويل وغير ذلك، ولعل الوقوف على بعض المفاهيم لهذا المصطلح سواء من الناحية اللغوية والاصطلاحية سيزيل الغموض عنه.

1. المفهوم اللغوي :

حين نتصفح المعاجم اللغوية لنحدد مفهوم "السيمياء"، نجد أن هذه اللفظة مشتقة من الجذر اللغوي (س،و،م)، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور : "السيمة والسيمياء العلامة، وسَوم الفرس جعل عليه السيمة ويقول الجوهري السومة بالضم العلامة، تجعل على الشاة"[1]، ولا يبتعد أصحاب المعجم الوسيط عن ابن منظور في تحديدهم لمدلول هذه المادة فنجدهم يقولون: "فلان اتخذ سمة ليعرف بها ...."[2]

وما يمكن أن نستشفه من هذين التعريفين أن لفظة السيمياء لا تخرج عن معنى العلامة .ويحضر هذا المعنى في آيات عدة من القرآن الكريم ، فنذكر منها : قوله تعالى : "سيماهم في وجوهم من أثر السجود" سورة الفتح الآية 29

وقوله أيضا : "يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام" سورة الرحمان الآية 41

وقوله أيضا : "ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم" سورة الأعراف الآية 48

وتصب كل ألفاظ هذه المادة اللغوية في سياق دلالي واحد وهو العلامة، ولعلها الدلالة الاصطلاحية ذاتها التي تحملها كلمة "سيمياء".

2. **المفهوم الاصطلاحي** : تنحدر كلمة سيميولوجيا من "الأصل اليوناني Simon الذي يعني العلامة ، logosالذي يعني خطاب، والذي نجده مستعملا في كلمات مثل :sociologi علم الاجتماع ، Biologie علم الإحياء ،... وبامتداد اكبر لكلمة logos تعني العلم ... فيصبح تعريف السيميولوجيا على

النحو الآتي: علم العلامات"[3] وقد حمل هذا العلم منذ نشأته الأولى بين نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تسميتين مختلفتين هما : السيميولوجيا la sèmiologie والسيميائية la sèmiotiique على يدي العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سويسر، والأمريكي شارلز سندرس بيرس، اللذين بشرا بميلاد هذا العلم.

وعن هذا نجد "فرديناند دي سويسر" يقول: "نستطيع أن نتصور علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية وقد يكون قسما من علم النفس الاجتماعي وبالتالي قسما من علم النفس العام، ونقترح تسمية sèmiologie سيميولوجيا، أي علم الدلائل وهي كلمة مشتقة من اليونانية sèmion بمعنى دليل، ولعله سيمكننا من أن نعرف مما تتكون الدلائل والقوانين التي تسيرها ..."[4]، وعليه فالسيميولوجيا بذلك هي علم العلامات، وهو العلم الذي اقترحه "فرديناند دي سويسر" كمشروع مستقبلي لتعميم علم اللسانيات الذي جاء به. كما جاء الأمريكي "شارل ساندرس بيرس" ليربط هذا العلم بالمنطق في نفس الفترة التي كان يخطط فيها "سويسر" للخروج به، حتى اختلط على الدراسين في تحديد من الأسبق منهما في الخروج بالفكرة، وقد خرج "بيرس" بتصور آخر لهذا العلم أطلق عليه كما سبق وقلنا تسمية سيميوطبقا sèmiotics الذي لا ينفصل عن المنطق وعن هذا يقول : "...ليس المنطق بمفهوم ه العام إلا اسما آخر للسيميوطبقا، والسيميوطبقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامة"[5].

والمعنى في هذا أن المنطق يتجلى في العلامة من خلال العلاقة بين الدال والمدلول ، وقد اقتصرت دراسته على الجانب التطبيقي، في حين نجد "سويسر" ركز على الجانب النظري.

أما عن الاختلاف في التسمية (سيميولوجيا /سيميوطيقا) ، (سوسير /بيرس) فيمكن القول بأن: "الأوروبيين يفضلون مفردة السيميولوجيا التزاما منهم بالتسمية السويسرية، أما الأمريكيون فيفضلون السيميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "شارل ساندرس بيرس"[6] .

وعلى الرغم من اختلاف المنطلقات الابستمولوجية فإن السيميائية عامة لا تخرج عن كونها : "معرفة للعلامات، ونظرية عامة للتمثيل العلامي، في كل صورهـ وتجلياته عند الحيوان أو البشر"[7]. كما نجد الناقد الجزائري "قدور عبد الله ثاني" يعرف السيمياء بأنها "علم الإشارة الدالة، مهما كان نوعها أو أصلها، وأن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة، والسيمياء تختص بدراسة بنية هذه الإشارات وعلاقتها في هذا الكون، وكذا توزيع وظائفها الداخلية والخارجية"[8].

3. المصطلح بين الترجمة والتعريب:

مما لاشك فيه أن قضية المصطلح من القضايا الشائكة التي تطرح في ميدان السيميائيات إذ أننا نجد هذا المصطلح وقع فيما يسمى بفوضى المصطلح أو ما يسمى بالتعددية المصطلحية "إلا أن أشهرها على الإطلاق هما

(sèmioloogie)الفرنسي، و (semiotics)الانجليزي"[9]، فهما مصطلحان مترادفان، أو يمكننا القول بأنهما وجهان لعملة واحدة، وموضوعهما "هو دراسة العلامات وأنساقها، سواء كانت هذه العلامات لغوية أم غير لغوية في نطاق الحياة الاجتماعية"[10].

والتعدد في المصطلح كان أثناء نقله إلى العربية فترجم بـ: (الدلا لية، علم الأدلة ، علم الدلائل، علم السيمياء، السيميائيات، علم العلامات، علم الدلالة، علم المعنى، علم دراسة المعنى، علم الإشارات، علم الرموز، السيميولوجيا والسيمالوجيا، السيميوطيقا، والسيماتيك).

فقد فضل "عبد الملك مرتاض" تسمية (السيميائية) ويظهر ذلك جليا من خلال كتبه التي حملت هذا المصطلح دون غيره، من ذلك : كتابه الموسوم بـ (ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد/ مقامات السيوطي تحليل سيميائي وغيرها من المؤلفات الأخرى).

وكذا "رشيد بن مالك" يستخدم هذا المصطلح (سيميائية) من خلال مؤلفه: (السيميائية أصولها وقواعدها ، وكتابه: مقدمة في السيميائية السردية)، "وقد ترجم "الطيب البكوش" المصطلح إلى العربية باسم "الدلائلية" وذلك في ترجمته لكتاب مفاتيح الألسنية لجورج مونان (تونس 1981)"[11].

ونجد الدكتور "صلاح فضل وعبد الله الغذامي" يفضلان الاسم الأجنبي "السيميولوجيا" وفي هذا الصدد نجد "صلاح فضل" يقول: "نرى من الأفضل إطلاق الاسم الغربي عليه لأن النقل أولى من الاشتقاق في استحداث الأسماء الجديدة إذا كان هذا الاشتقاق سيؤدي الى الخلط..."[12].

أما "ناصر حامد أبو زيد" و "سيز قاسم" فيستخدمان مصطلح (السيميوطيقا) في كتابتهما: (مدخل إلى السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد).

ونجد "عبد السلام المسدي" يفضل تسمية (علم العلامات) حسب ما نجده في كتابه (الأسلوبية والأسلوب)، وغيرها من الترجمات الأخرى.

ووفقا لما سبق نرى أن هذا المصطلح وقع فيما يسمى بالفوضى والاضطراب المصطلحي، وعدم اتفاق الباحثين حول مصطلح واحد، فكل باحث يفضل تسمية معينة كما رأينا، مما أدى هذا الاضطراب إلى قلق المتلقي العربي لمثل هذه النظريات الوافدة من الغرب.

الإحالات :

1. ابن منظور : لسان العرب، مادة (س،و،م) ،المجلد3 ،دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص : 372.

2. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة ،مصر، دط، دت، ص،ص: 358.357.

3. توسان برنار: ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف ،إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000، ص:09.

4. فرديناند دي سويسر: محاضرات في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، دط، 1985، ص:37.

5. فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف،الجزائر ، ط 1، 2010 .ص 17.

6. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ،المركز الثقافي الأدبي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص:177.

7. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد: السيميوطيقا حول بعض المفاهيم و الأبعاد، نقلا عن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ومدخل إلى السيميوطيقا، إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص:351.

8. قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، دار الغرب، الجزائر، ط1، 2005، ص: 52.

9. فيصل الأحمر: معجم السيمائيات،ص: 17.

10. مباركية عيسى: "الخطاب النقدي السيميائي لدى عبد المالك مرتاض" ، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج ، مجلد 2، ع1، جانفي 2021، ص:405.

11. عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، دت، ص: 23.

12. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص:297.